جهود الخليفة المستنصر في تطور العلوم في الأندلس(350–366هـ/961-976م)

–العلوم التجريبية نموذجا–

Efforts of Caliph Al-Mustansir in the development of science in Andalusia (350-366 AH / 961-976 AD)
-Experimental science as a model-

1-ط/د بشرى فداوي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة، (الجزائر).

bouchra.feddaoui@univ-emir.dz

2- د/عبد الخليل قريان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة، (الجزائر).

a.gueriane@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 16/04/ 2023 م تاريخ القبول: 20/05/ 2023م تاريخ النشر: 04/06/ 2023

ملخص:

حظيت الحركة العلمية في بلاد الأندلس خلال القرن(4هـ/10م) باهتمام بالغ من قبل الخلفاء الأمويين خاصة الخليفة 'الحكم المستنصر بالله"، لتشهد هذه البلاد تطورا كبيرا في مختلف ميادين العلوم بجميع تخصصاتها، جعلتها تضاهي بلاد المشرق حضاريا وتصبح قبلة للعديد من العلماء وطلاب العلم، فما هي أهم جهود الحكم المستنصر" وإسهاماته العلمية خاصة في ميدان العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والرياضيات؟ وما هي أهم الوسائل التي اعتمدها للنهوض بهذا الجانب في ظل الاستقرار النسبي الذي شهدته الأندلس خلال فترة حكمه؟.

فقد نتج عن تلك المجهودات تشجيع الطلاب على الإقبال على صفوف العلوم التجريبية والتي أصبحت تدرس إلى جانب العلوم الدينية واللغوية، كما نتج عنها تخريج العديد من أشهر العلماء الذين برعوا في هذه العلوم وأثروها ببحوث ومؤلفات هامة أصبحت مرجعا علميا عالميا يعول عليه إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الحكم المستنصر، العلوم التجريبية، الرياضيات، الطب، علم الفلك.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

The scientific movement in Andalousia during the century(4 AH/10AD) received great attention from the Umayyad caliphs, especially the Caliph «Al-Hakam Al-Mustansir Billah ». For this country to witness a great devlopment in various fields of sciencein all its fisciplines, which made it comrable to the countries of the East in civilization and to become a destination for many scholars ans students of science, especially in the field of expérimental sciences such as medcine, astronomy and mathematics.

Keywords: Al-Hakam Al-Mustansir, expérimental sciences, mathematics, medcine, astronomy.

المقدمة:

بعد استقرار المسلمين في الأندلس وتولي بني أمية زمام الحكم فيها، عرفت هذه البلاد مرحلة جديدة تميزت باهتمام الحكام بالحركة العلمية والفكرية، ومن أشهر الخلفاء الأمويين الخليفة "عبد الرحمن الناصر"(300-350هـ/912-961م)، وابنه "الحكم المستنصر بالله"(350-366هـ/961-976م)، هذا الأخير الذّي يعد أعظم خلفاء الأندلس علما و أدبا و الذّي سار على خطى والده مستكملا لخططه، بعد أن أحكم والده تنشئته و أحسّن تربيته ليشهد عصره تفوقا حضاريا وعلميا مضاهيا لما وصل إليه المشرق الإسلامي على عهد خلفاء بني العباس ببغداد، وتكون بذلك خلافته إيذانا بعهد جديد لحركة فكرية لم يسبق لها مثيل، عهد حظيت فيه العلوم والآداب بمكانة لم يسبق لها أن حظيت بها حتى على يد أبناء المنطقة الأصليين قبل قدوم الفاتحين.

إن هذه الورقة البحثية تستهدف الإجابة على إشكالية تبحث في العوامل التي حفزّت "الحكم المستنصر" على الاهتمام بالعلوم؟الجهود التي استحدثها للنهوض بالعلوم التجريبية والتشجيع على تعلمها وتداولها؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكننا من رصد التفاعلات العلمية التجريبية وتحليل معطياتها وفق العناصر أدناه، للوصول إلى رسم صورة واقعية للعلوم التجريبية وكيفية تطورها في الفضاء العلمي الأندلسي الوسيط في عهد "المستنصر".

1.النشأة العلمية و تأثيراتها في شخصية الحكم المستنصر بالله:

قبل الحديث عن التكوين العلمي وشخصية الحكم المستنصر لابد لنا من تقديم ترجمة مختصرة له توضح المعالم الأولى لاهتمامه بالعلوم:

وهو الحكم بن عبد الرحمن[1]، ويلقب بالمستنصر بالله، ويكنى أبا العاص أمه أم ولد، اسمها "مرجان"[2]، ولد سنة (302هـ/914م)[3]، ولي الخلافة بعد أبيه سنة (350هـ/961م) وهو ابن سبع و أربعين سنة، وتوفي سنة (366هـ/976م)، وخلف ولدا واحدا و هو "هشام المؤيد" [4] [5]، وانقرض عقبه بعد موت ابنه لم يعش له ولد غيره[6]، واستغرقت خلافة أبيه الطويلة عمره، حتى كان يقول له فيما يحكى عنه:"لقد طوّلنا عليك يا أبا العاص[7]".

---

[1]أبو الوليد عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ابن الفرضي،**تاريخ علماء الأندلس**،ج1،الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، مصر، 1966م، ص7 .

[2]أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي،**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**،تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد،دار الغرب الإسلامي،ط1،تونس،1429هـ/2008م، ص33.

[3]أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبّار،**الحلة السيراء**، تح، حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1963م، ص200.

[4]يكنى أبا الوليد، وكان له إذ ولي عشرة أعوام وأشهر، فلم يزل متغلبا عليه، لا يظهر ولا ينفذّ له أمر، وتغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، فكان يتولى جميع الأمور إلى أن مات. انظر، الظّبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح، إبراهيم الأبياري،ج1، دار الكتاب المصري، ط1، مصر، 1410هـ/1989م،ص43.

[5]شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،**سير أعلام النبلاء**، ج8، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت،1417هـ/1996م، ص269.

[6]عبد الواحد المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، مطبعة الاستقامة، ط1،القاهرة، 1386هـ/1949م، ص27.

[7]ابن الأبّار، مصدر سابق،ص200.

أما خصاله الخلقية والعلمية فقد كان:"حسن السيرة، مكرما للقادمين عليه، جمع الكتب ما لا يحد و لا يوصف كثرة و نفاسة، وكان عالما نبيها صافي السريرة[8]."رواية للحديث، فطنا، ورعا[9]، كما كان عالما مشاركا في علوم عصره، وسمع الشيوخ منه الحديث و أجاز لهم مروياته و أجازوه، وكانت له أبواب مفتوحة لطلبة العلم لا يرد منهم أحد[10]، وكان لحبه للعلم وشغفه بألوان المعرفة أنه كان سبّاقا إلى ميادينها[11].

إن اهتمام "الحكم المستنصر" بالعلوم و الإقبال على طلبها بمختلف تخصصاتها لم يكن وليد العدم بل كان نتاجا لتلك التربية التي نشأ عليها في كنف والده "عبد الرحمن الناصر[12]" ما جعله يعمل على جمع الكتب ويغوص في بحار محتوياتها و يستقي من منافعها ومنابعها العلمية الهامة والنفيسة.

و إذّا كنا محقين في أن ألمع فترة علمية شهدتها الأندلس كانت في عصر ابنه "المستنصر بالله" الذّي لا تخلو ترجمته في أي كتاب من الثناء عليه و الإشادة بفضله العظيم على الحركة العلمية، فإنه من الحق أيضا أن ننسب جانبا كبيرا من ذلك الفضل إلى أبيه "عبد الرحمن الناصر الذّي أرسى قواعد الحضارة، ومهد للنبوغ الفكري، والتقدم العلمي في بلده، فلم يتسلم "الحكم المستنصر" الحكم في الأندلس إلا بعد أن بذر أبوه بذور العلم و المعرفة، وغرس شجرة الفكر فيها التي أينعت ثمارها في عصر ابنه، وهذا ما سمح بخلق جو خصب مهيئا لطلب العلم والإقبال عليه[13].

---

[8]أحمد بن محمد بن أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسّان الدين الخطيب**،تح، إحسان عباس،ج1، دار صادر، د.ط، بيروت،1986 م، ص386.

[9]الذهبي، مصدر سابق، ص270.

[10]محمد تركي محمد شنطاوي، "مكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر في الأندلس(350-366هـ/961-976م) وما بعدها"، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**،الأردن،مجلد10، العددان (1+2)، 2016م، ص1.

[11]سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس(316-422هـ/928-1030م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى(المملكة العربية السعودية)، 1417هـ/1997م، ص73.

[12]عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، وتولى الأمر خلفا لجده وعمره اثنتان وعشرون سنة، تسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله، اتصلت ولايته إلى أن مات سنة خمسين وثلثمائة، ولم يبلغ أحد من بني أمية مدته فيها. انظر،الظبي، مصدر السابق، ص390.

[13]سعد البشري، مرجع سابق، ص71.

ونظرا لهذه البيئة العلمية المناسبة فقد أقبل "الحكم المستنصر بالله" على أخذ العلوم على يد العديد من العلماء الكبار، وتذكر لنا المصادر التاريخية أسماء من خيرة علماء الأندلس الذّين أخذّ عنهم و سمع منهم، ومن هؤلاء:"قاسم بن الأصبغ[14]، وأحمد بن دحيم[15] و محمد بن عبد السّلام الخشني[16]، وزكرياء بن خطاب[17] و أكثر عنه، وأجاز له ثابت بن قاسم[18] وكتب عن خلف كثير سوى هؤلاء[19]". كما أخذ عن الأديب محمد بن إسماعيل القرطبي[20] الذّي تلقى على يديه بعض العلوم

[14]قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء، يكنى أبا محمد ويعرف بالبياني، كان بصيرا بالحديث والرجال، نبيلا في النحو والشعر، توفي سنة أربعين وثلثمائة.انظر،ابن الفرضي، مصدر سابق،368.

[15]أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمر، كان جامعا للسنن ثقة فيما روى، ولاّه الناصر أحكام القضاء بطليطلة، ولم يزل قاضيا إلى أن توفي رحمه الله في الطاعون سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة.انظر، نفسه، ص36.

[16]محمد بن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن الحسن بن كليب أو كلب، يكنى أبا الحسن، مات بالأندلس سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.انظر:الظّبي،مصدر سابق، ص68.

[17]زكرياء بن خطاب بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن حزم الكلبي، من أهل تطيلة يكنى أبا يحي استقدمه المستنصر بالله وهو ولي عهد فسمع منه الكثير من رواياته، وولي القضاء بموضعه بعد عمر بن يوسف بن الإمام. انظر، ابن الفرضي، مصدر سابق، ص149-150.

[18]ثابت بن قاسم بن ثابت السرقسطي، محدّث، لغوي، عالم، روى كتاب غريب الحديث، روى عن ثابت العباس بن عمرو الصقلي، توفي سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة.انظر الظّبي، مصدر سابق،ص311.

[19]المقري، مصدر سابق، ص395.

[20]الحكيم، هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل،كان الغاية في علم العربية والحساب وحد المنطق، وكان دقيق النظر،وأدب أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله،توفي لعشر خلون من ذي الحجة سنة 331هـ.انظر، أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي،**طبقات النحويين واللغويين**، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص276-278.

كالأدب والنحو والحساب، وأفاد منه دراسة العلوم بطريقة تحليلية عميقة[21]. وممن استفاد منه "الحكم المستنصر" واقتبس من علمه اللغوي: علي بن معاذ بن سمعان الرعيني[22]، وكان من أهل الأدب و اللّغة إلى جانب مهارته في التاريخ و الأنساب، وقد استقدمه "الحكم" إلى قصره حيث أخذ عنه الكثير من المعارف[23] خاصة أنه عرف عن هذا الخليفة علمه الكبير بالأنساب وشغفه في دراسة تاريخ أجداده وسلفه الأمويين بالمشرق الإسلامي.

وقد نتج عن إقبال "الحكم" على دراسة العلوم والآداب، ومجالسته للعلماء أن أثر ذلك في شخصيته تأثيرا واضحا، فظهرت عليه علائم النبوغ الفكري، ودلائل التفوق في دراساته العلمية المختلفة، مما كون لديه نظرا صائبا وعميقا لمسائل العلم، وكان في حياته شديد المطالعة لكتبه دائم النظر فيها يتبع في قراءتها النظرة التحليلية و الفكر الثاقب[24]. حتى أصبح "عالما فقيها بالمذاهب، حافظا للأنساب، حافظا للتاريخ، جمّاعا للكتب، مميزا للرجال من كل عالم وجيل، وفي كل مصر وأوان، تجرّد لذلك وتهمم به[25]." كما أن من الآثار المترتبة على شخصية "الحكم" العلمية أنه أصبح محل ثقة في نقل أقواله خاصة بين علماء الأندلس الذّين أصبحوا يتناقلونها فيما بينهم بل و يحاضرون بها، وهذّا ما يؤكده "ابن الأبّار" قائلا:و كان موثوقا به مأمونا عليه، صار كل ما كتبه حجة عند الشيوخ الأندلسيين و أئمتهم، ينقلونه في خطه و يحاضرون به[26].". وكذلك ما أشار إليه المؤرخ و العالم الكبير "الحميدي"

---

[21] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**،تح، محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشلبين، ج2، فرانز شتنايز، ط2،قيسبادن، ص210.

[22] كان لغويا نسابة استقدمه الحكم المستنصر بالله ليقتبس من علمه، وكان عنده جميع كتب عبد الملك بن حبيب وروايته.انظر، المراكشي ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس، تح، محمد بن شريفة وإحسان عباس، القسم الأول، دار الثقافة، د.ط، بيروت ، لبنان، أفريل 1965م، ص410.

[23] نفسه، ص410.

[24] سعد البشري:مرجع سابق،ص72.

[25] لسان الدين ابن الخطيب،**أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**،تح، ليفي بروفنسال، دار المكشوف،ط2، بيروت، لبنان، 1956م، ص41.

[26] ابن الأبّار، المصدر السابق، ص202.

عند ترجمته للأديب "ابن عبد ربه" قائلا:"هذا آخر ما رأيت بخط الحكم المستنصر، و خطه حجة عند أهل العلم عندنا لأنه كان عالما مثبتا[27]."

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن لسعة إطلاعه و غزارة علمه و ثقافته فقد تولد لديه نظرات صائبة و آراء قيمة في فروع العلم و فنونه المختلفة، وكان يعلق على كتبه بل و يصحح ما أخطأ فيه غيره من العلماء، فلم يكن همه جمع الكتب و حشدها في خزائن قصره، بل كان يطلع عليها و يناقش ما يرد فيها ببصيرة نافذة و رأي حكيم، يعينه في ذلك ثقافته و تكوينه العلمي[28]، "وقلّما تجد له كتابا في خزائنه إلا و له فيه قراءة و نظر من أي فن كان من فنون العلم يقرؤه و يكتب فيه بخطه.[29]"، ومن هنا يمكننا أن نستخلص مدى تأثير تلك التربية و النشأة التي حظي بها "الحكم المستنصر" على شخصيته العلمية بالإضافة إلى المكانة الكبيرة التي تبوأها بين علماء الأندلس حتى أصبح حجة عصره باتفاق جموع هؤلاء العلماء.

2.أساليب "الحكم المستنصر بالله" في تشجيع الحركة العلمية في الأندلس:

لقد عمد "الحكم" في عمله لدفع عجلة العلوم بالأندلس إلى إتباع جملة من الأساليب و انتهاج مجموعة من الطرق التي تحفز على الإقبال على تلك العلوم و خلق بيئة علمية خصبة تعمل على توفير إنتاج علمي غزير في مختلف العلوم وميدانيها، وسنحاول إجمالها في ما يلي:

1.2:جمع الكتب و حيازتها:

فقد عرف عن "الحكم" أنه كان شغوفا بالكتب و العمل على اقتنائها بأغلى الأثمان و جمعها من مختلف الأصقاع سواء داخل الأندلس أو خارجها، ذلك أنه رأى أنه ما من إنتاج علمي سيكون في مملكته إلا من خلال توفير أمهات الكتب و في مختلف التخصصات.

وتذكر المصادر التاريخية جهوده الجبارة التي لم يدخرها في سبيل جمع تلك الكتب، ومن ذلك ما أورده "المراكشي" بقوله أنه:"كان جماعا للكتب على اختلاف أنواعها، اجتمع له منها ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله[30]"، "ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ "الحكم" في اقتناء الكتب و الدواوين و

[27] الحميدي، مصدر سابق، ص101.
[28] البشري، مرجع سابق، ص74.
[29] إبن الأبّار، مصدر سابق، ص202.
[30] عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص25.

التهمم بها[31]."، بل وصل به الحال إلى دفع أموال طائلة في سبيل الحصول على تلك الكتب و إلحاقها بخزانته، وقيل فيه بأنه :"جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك، لا قبله و لا بعده، وتطلّبها وبذل في أثمانها الأموال، واشتريت له من البلاد البعيدة بأغلى الأثمان[32]"، "فحملت من كل جهة إليه، والملك سوق ما نفق فيها جلب إليها، حتى غصت بها بيوته و ضاقت عنها خزائنه[33]."، خاصة و أنه قد عرف عنه حبه الكبير لها و إطلاعه الدائم عليها "ذا غرام بها، فقد آثر ذلك على لذات الملوك[34]." وقد ركز الخليفة على جمع الكتب و المصنفات العلمية النادرة و القيمة لإلحاقها بمكتبته الخاصة في قرطبة حتى يستفيد منها و يفيد بها غيره من العلماء و المهتمين.

وبفضل هذه الجهود أصبحت الأندلس سوقا نافقة للكتب و حملت إليها من كل حدب و صوب، بل أن مكتبته الخاصة بقصره في قرطبة ضاقت من كثرة غناها بمختلف الدواوين والمصنفات وكانت سجلاتها حافلة بعنوانيها الكثيرة، وقد أشار إلى ذلك "ابن حزم" بقوله:" وأخبرني تليد الخصي -وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس-أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع و أربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط [35]".

2.2:التشجيع على حركة التأليف:

لم يكتف "الحكم" بجلب الكتب من الأندلس و خارجها كما أشرنا سابقا، بل عمل أيضا على تشجيع المؤلفين وتحفيزهم على الكتابة والإبداع وأسهم في تنشيط حركة التأليف و من ذلك أنه:"بعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي فرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل فيه بألف دينار من الذّهب العين فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق"[36]، وألف أيضا"أنسّاب قومه من بني

---

[31] إبن الأبّار، مصدر سابق، ص201.

[32] الذّهبي، مصدر سابق، ص269. وانظر كذلك، عبد الرحمن ابن خلدون،**تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج4، دار الفكر، د،ط،بيروت، لبنان، 1421هـ،2000، ص188.

[33] إبن الأبّار، مصدر سابق، ص201.

[34] المقري، مصدر سابق، ص395.

[35] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي:**جمهرة أنساب العرب**،تح:عبد السلام محمد هارون،ج1، دار المعارف،ط5،القاهرة،1982م،ص100. والنص نفسه اقتبسه ابن خلدون في كتابه العبر، ج4، ص 187. والمقري، نفح الطيب، ج1، ص 385 مع بعض التصرف.

[36] ابن خلدون، مصدر سابق، ص188. ابن الأبّار، مصدر سابق، ص 201- 202.

أميّة موشّحة بمناقبهم و أسماء رجالهم، فأحسن فيه جدا، وخلدهم مجدا، فأرسل به إلى قرطبة[37] وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره[38]"وقد سر به الخليفة كثيرا، فجدد عليه الصلة. . وفعل "الحكم" مثل ذلك مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم،[39]، ومع محمد بن القاسم بن شعبان بمصر، ومحمد بن يوسف الوراق الذّي ألف له كتابا ضخما في "مسالك إفريقيا وممالكها[40]."

كما خصص قسما للتأليف في مكتبته فلم تكن مجرد مكتبة للإطلاع بل بمثابة مركز للبحث والدراسات والتأليف بمفهومنا المعاصر، وفي هذّا القسم يتم تكليف علماء معينون بتأليف كتب في تخصصات معينة، ومثال ذلك عندما كلف الفقيه "محمد بن الحارث الخشني[41]" بتأليف كتب فألف كتاب "تاريخ قضاة الأندلس" الذّي ارتبط هذا العنوان باسمه[42]، وكان هذّا التكليف بإيعاز من الخليفة "الناصر" ومن بعده ابنه "الحكموهذّا بهدف دعم المذهب المالكي، مذهب أهل السنة والجماعة في

---

[37]قاعدة الأندلس، أم مدائنها ومستقر لخلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفيها المسجد الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره، وقرطبة على نهر عظيم. انظر،أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، دار الجبل، ط2، بيروت لبنان،1408هـ، 1988 م، ص18.

[38]ابن الأبّار، مصدر سابق، ص 202.

[39]ابن خلدون، العبر ، ج4، ، ص188.

[40]محمد تركي، مرجع سابق، ص5.

[41]يكنى أبو عبد الله، تفقّه بالقيروان، واستوطن بعد هذّا قرطبة، وقد كان فقيها، فطنا، متفننا، عالما بالفتيا، حسن القياس بالمسائل، وولي الشورى بقرطبة، وتمكن من ولي عهدها الحكم، توفي بقرطبة سنة 361هـ. انظر،القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح، سعيد أحمد أعراب، ج6، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، المغرب،140 1هـ، 1981م، ص266-267-268.

[42]بن حاج ميلود، الكتاب ودوره في حركة التعليم بالأندلس بين عصري الإمارة وملوك الطوائف (138-479هـ/756-1086م)، **مجلة أنسنة الدراسات البحوث والدراسات**، العدد22،11ديسمبر2014م، ص245.

الأندلس من أجل الوقوف أمام دعاة المذهب الإسماعيلي الذي حاول الفاطميون في الشمال الإفريقي تسريبه إلى الأندلس[43].

كما ازدهرت في عهده الوراقة "فقد كان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها، ومن ورّاقيه ببغداد محمد بن طرخان، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة[44]،وجمع بداره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلاّ ما يذكر عن الناصر العباسي ابن المستضئ[45]".

3.2:تقريب العلماء والاهتمام بهم:

أدرك "الحكم" أن العناية بالكتب و حركة التأليف لابد أن يصاحبها اهتمام بالعلماء والإحسان إليهم وإكرامهم، فكان كلما وفد عليه عالم أحسن إليه ومنحه منزلة هامة عنده، "فقد وفد على أبيه "علي الغالي" صاحب كتاب "الآمالي" من بغداد فأكرم مثواه، وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد من علمه[46]"، "كما اشترك أحمد بن عبد الملك بن هاشم الاشبيلي[47] مع أبي بكر بن محمد ين عبيد الله القرشي المعيطي في تأليف كتاب الاستيعاب في مذهب الامام مالك في مائة جزء " ورفع إلى الحكم المستنصر فسر بذلك ووصلهما وقدمهما إلى الشورى[48]، والأمثلة عن عنايته بالعلماء كثيرة.

ومن هنا فقد سعى "الحكم المستنصر" إلى تقريب أولي العلم و المعرفة و إكرامهم وتهيئة المناخ الملائم الذّي يستطيع فيه أولئك العلماء الانصراف إلى العلم و البحث العلمي في حقول المعرفة المختلفة،

---

[43] شافعي دياب حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998م، ص118.

[44] ابن الأبار:، مصدر سابق، ج1، ص202.

[45] ابن خلدون، مصدر سابق، ص188.

[46] المقري، مصدر سابق، ص385.

[47] انظر ترجمته في، ابن بشكوال، كتاب الصلة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص 48.

[48] ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص 49 .

وبالتالي تيسير السبل أمام الإنتاج الفكري حسب تخصص كل منهم، وفي هذّا الصدد يقول الإشبيلي:"وفي أيامه كثر العلماء وأدلوا بما عندهم وألفت التواليف وصنفت التصانيف"[49]."

3.مظاهر عناية الخليفة "الحكم المستنصر" بالعلوم التجريبية:

إن عناية الخليفة "الحكم المستنصر" بالعلوم لم يقتصر فقط على العلوم الدينية و اللغوية بل تعدى ذلك إلى ميدان العلوم التجريبية بمختلف تخصصاتها و فروعها، ويبدو ذلك جليا من خلال تتبع تلك الجهود المبذولة في كل من:

1.3:في ميدان الطب و الصيدلة:

يعتبر علم الطب والصيدلة من أهم العلوم التي حازت اهتمام الأندلسيين وعنايتهم، لما لهذّين العلمين من أهمية بالغة في حياة الناس عامة وحياة الخلفاء خاصة، لذلك عمل الخلفاء الأمويون على العناية بالطب والأطباء، ولعلّ أبرز هؤلاء الخلفاء الخليفة "الحكم المستنصر"، الذي ساهم في النهوض بالمجال الطبي والصيدلي ويتضح ذلك من خلال:

1.1.3:العناية بالأطباء وتقريبهم منه:

كان الخلفاء الأمويون في قصورهم يحرصون على الحضور الدائم للأطباء البارعين لحاجتهم إليهم في رعاية صحتهم وعلاجهم، وصحة أسرهم وذويهم وصحة رجال الدولة، كما يوجهون فيما يحسن تناوله من الأغذّية و الأشربة.

ويعتبر الخليفة "الحكم المستنصر" أحد أهم الخلفاء وأبرزهم الذين حرصوا على ذلك، "وقد لحق بخدمة "الحكم المستنصر" فريق من الأطباء منهم: أبو بكر أحمد بن جابر، وكان كبير المنزلة عند الخلفاء معظما لديهم، وكان أولاد "الناصر" جميعهم يعتمدون على تبجيله ومعرفة حقه[50]، ومثله أيضا الطبيب "أبو عبد الملك الثقفي[51]" الذّي جمع بين المهارة في الطب والبراعة في الهندسة، وكان عالي المقام

---

[49] سعد البشري:المرجع السابق، ص76.

[50] ابن أبي صبيعة،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،تح، نزار رضا، دار مكتبة الحياة،د،ط، د،ت،بيروت، لبنان، ص492.

[51] خدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب، وكان أعرجا، وله في الطب نوادر، و ولاه المستنصر بالله خزانة السلاح، وعمى في آخر عمره بماء نزل في عينيه، ومات في آخر أيامه بعلة الإسهال.انظر، أبو داوود سليمان بن حيان الأندلسي المعروف بابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح، فؤاد رشيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1405هـ،1985م، ص111.

لدى "الحكم المستنصر[52]". ومن أولئك الأطباء أيضا الطبيب "عريب بن سعيد القرطبي"[53] وقد اتصف بالمعرفة الواسعة في العديد من العلوم، ولكنه لمع في ميدان الطب وأظهر تفوقا كبيرا في ذلك...وكان معظما لدى الخلفاء جليل المنزلة عندهم، فحظي بمقام كريم لدى الخليفة "عبد الرحمن الناصر" ثم ابنه "الحكم المستنصر" ثم "الحاجب[54] المنصور[55]"."

ولم يكن اهتمام الخليفة "الحكم المستنصر" بالأطباء مقتصرا على تخصص دون غيره بل كان مهتما بكل التخصصات سواء الطب الباطني، أو طب الجراحة...الخ، "ففي ميدان طب العيون برع الأخوان "أحمد و عمر ابنا يونس بن أحمد الحراني[56]"، وكان الأخوان يجتهدان في رفع مكانتهما العلمية بين علماء عصرهم، ويسعيان إلى إرضاء ميول الخليفة "المستنصر" في ميدان العلم و البحث."، وفعلا تمكن هذان الأخوان من أن ينالا تلك المكانة لدى "الحكم" لكن الطبيب"عمر" توفي بعد أن لحق به مرض شديد، "وبقي أخوه "أحمد" على منزلته العالية لدى "الحكم المستنصر"، حيث أسكنه بقصره في مدينة [57]الزهراء[58]."

---

[52] المصدر نفسه، ص111.

[53] قرطبي عداده في الموالي من بيت يعرفون ببني تركي، طبيبا ماهرا شديد العناية بكتب الأطباء القدماء والمحدثين وله مصنفات منها الأنواء وعيون الأدوية.انظر:ابن عبد الملك المراكشي:المصدر السابق، ص141-142.

[54] وهو محمد بن أبي عامر من أحفاد عبد الملك المعافري، استوزره الحكم لابنه هشام فلما مات الحكم حجبه محمد وغلب عليه. انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص189.

[55] عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص141-142.

[56] عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحرّاني رحلا إلى المشرق في دولة الناصر، وأقاما هناك عشرة أعوام، وانصرفا إلى الأندلس في دولة المستنصر بالله وذلك في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة(962م)، فألحقهما بخدمته في الطب واستخلصهما لنفسه من سائر أطباء وقته. ومات عمر وبقي أخوه أحمد أثيرا عند الحكم. انظر، أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، د،ط، بيروت، لبنان، 1912م، ص80-81.

[57] مدينة غربي قرطبة بناها عبد الرحمن بن محمد، كذّا قالوا، وبينها وبين قرطبة خمسة أميال. انظر، الحميري،مصدر سابق، ص95.

[58] ابن جلجل، مصدر سابق، ص113.

بالإضافة إلى هذا فإنه وبحكم ارتباط علم الصيدلة بالطب فقد سمح الخليفة "الحكم المستنصر" للأخوين الطبيبين أحمد وعمر ابن يونس بإنشاء مكتباتهم الخاصة داخل أسوار قصره، حتى يتمكنوا من تركيب مختلف الأدوية وصناعة الترياق، نظرا لما "لما تمتع به "أحمد" من صفات العالم الماهر فإن ذلك كان له أثره الكبير في إعلاء منزلته لدى "الحكم المستنصر"[59]، ويذكر ابن جلجل ذلك قائلا: "حدثني بنفسه –أي أحمد- قال:"وصفت لأمير المؤمنين المستنصر بالله حوانيت رأيت بالبصرة للطباخين وإتقانها، وحسن ترتيب الأطعمة، وأنها موضوعة في غضاير وعليها مكاب الزجاج، ولهم خدام وقوف بالمناديل والأباريق، والحوانيت مسطحة بالرخام الملون، الفائت في الحسن. فركب المستنصر يوما من الزهراء إلى قرطبة، وأنا في موكبه، فلما أتى المدى –موضع الطباخين- نظر إلى الملل التي يطبخ فيها الشحوم فتأملها، فلما نزل القصر افتقدني، فأوصلني إلى نفسه وقال لي:" يا أحمد...أين هذه الملل من تلك الغضاير التي بالبصرة؟ وضحك على ذلك. ثم قال لي:" ما في تلك الملل؟ فقلت له: أطراف وشحوم يا أمير المؤمنين. فضحك على ذلك وعجب به[60]. وتولى إقامة خزانة بالقصر للطب لم يكن قط مثلها، ورتب لها اثني عشر صبيا من الصقالبة طباخين للأشربة صانعين للمعجونات واستأذن أمير المؤمنين أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك[61]. وهكذا نلمس ما كان يحتله بعض الأطباء في ذلك العصر من مكانة عالية لدى الخلفاء وأن ارتباطهم العملي بخدمة الخلفاء قد دفعهم إلى مزيد من الدراسات العلمية التي تعلي مكانتهم وترفع شأنهم أكثر في بلاط الخلفاء.

ونستخلص في الأخير أن نتيجة لهذه المكانة والعناية التي حظوا بها أدت إلى بروز الكثير من الأطباء والصيادلة في تلك الفترة، كما أدت إلى غزارة الإنتاج العلمي في ميدان الطب والصيدلة.

2.1.3:تطوير الطب والتشجيع على الإنتاج العلمي الطبي:

إن الجهود التي بذلها الخليفة "الحكم المستنصر" في دفع الحركة العلمية، وتشجيع العلماء والأطباء على البحث والتأليف، ضف إلى ذلك العناية التي حظي بها هؤلاء الأطباء ساهمت في غزارة الإنتاج العلمي والمصّنفات الطبية-كما أشرنا سابقا-ويمكن أن نستشهد هنا بمصنفات الطبيب "عريب بن سعيد القرطبي"-الذي سبق ذكره-"والذّي كان له تآليف في الطب منها كتاب في "عيون الأدوية" وكتاب في"خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين"، فالمؤلف الأخير هو الذّي ساهم في شهرة هذّا

[59] نفسه، ص113.

[60] ابن جلجل، مصدر سابق، ص113.

[61] نفسه، ص113.

الطبيب، كما ساهم هذّا الكتاب في حفظ الكثير مما يتمتع به "عريب" من معرفة واسعة وكبيرة خاصة في مجال طب الأطفال.

وقد ألف هذا الكتاب في عصر الخليفة "الحكم المستنصر" وهذا ما نستخلصه من مقدمة كتابه بقوله:"إنّ أحق ما طرقت إليه الهمم واستعملت الأفكار فيه بعد حقوق الله عز وجل واستيفاء حدود شكره طلب الزلفى إلى الإمام الأهدى "الحكم المستنصر بالله" أمير المؤمنين...ولما رأيت أن أحظى الأعمال المقربة من حسن رأيه-أيده الله-وأقرب الوسائل إليه وأزكاهم لديه تأليف كتب العلم وجمع منثور الحكم. وتجديد آثار الأوائل الذين سبقوا إلى الفضيلة، وفازوا بالرفعة ونهجوا سبيل الحكمة، ومنحوا من بعدهم صنوف المنفعة تكلفنا كتابا يشتمل على أقاويل العلماء في ابتداء خلق الله تعالى الإنسان الذي جعله أشرف المخلوقات وخيار أتم الآلات، وسخر له ما تحت أكتاف السموات وكيف أحكم تدبيره، وأتقن تصويره، وأنشأه وركب أعضاءه، وجعله في درجة النمو إلى أن بلغ به حد الانتهاء وغاية الكمال[62]"، وفي هذه المقدمة يبرز دور الخليفة المستنصر وأسهامه في تشجيع الأطباء والعلماء عموما على البحث والتأليف.

أيضا يمكن أن نستدل بما ألّفه الطبيب "ابن جلجل[63]" من تآليف طبية هامة أسهمت في كل من الميدان الطبي والصيدلاني، فهذا الطبيب البارع قد عاصر "الحكم المستنصر بالله" وهذا ما يؤكده بنفسه في حديثه عن ترجمة مفردات الأدوية قائلا:" وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر، وصحبتهم في أيامه، وفي صدر دولته -أي دولة الحكم- مات نقولا الراهب[64]." كما عاصر الخليفة هشام المؤيد ،وكانت له تصانيف ومؤلفات هامة وجليلة منها "كتاب تفسير أسماء الأدوية" من كتاب

[62] عريب بن سعيد، **خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين**، تر، نورالدين عبد القادر وهنري جاهيه، مكتبة فراريس، الجزائر، 1956م-1375ه، الجزائر، ص05.

[63] وهو سليمان بن حسّان الطبيب الأندلسي المعروف "بابن جلجل"، ذكي له تفرد بصناعة الطب، وله ذكر في عصره ومصره، وكان له تطلع علو علوم الأوائل وأخبارهم. انظر، جمال الدين القفطي، **تاريخ الحكماء**، تح، خوليو ليبرت، د. دار نشر، 1908م، ص190.

[64] ابن أبي صبيعة، المصدر السابق، ص494.

ديسقوريدس[65]، ومقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها هذا الأخير، ورسالة "التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين"[66]."

ومن مظاهر تطويره للمجال الطبي "أنه استحدث نظاما جديدا للأطباء المشتغلين بخدمة الخلفاء...فقد أنشئ ديوان يضم أولئك الأطباء وينزلهم درجات حسب قدراتهم وكفاءاتهم[67]"، وهو ما يشبه "نقابة الأطباء" في عصرنا الحاضر، كان يقيد اسم كل طبيب يحترف مهنة الطب والصيدلة ويزاولها، فإذّا ارتكب خطأ توجب عليه العقاب أسقط اسمه من الديوان[68]، "ومن هؤلاء أحمد بن حكم بن حفصون [69]الذّي اشتغل بخدمة الخليفة "الحكم المستنصر"، وكان قد قدّمه إلى ديوان الأطباء الحاجب"جعفر الصحفي[70]"ونال "ابن حفصون" مكانة عالية بين أطباء البلاط، فلما مات "جعفر" أسقط ذلك الطبيب من ديوان الأطباء، مما أثر على منزلته ومكانته العلمية والاجتماعية فبقي خامل الذّكر حتى وفاته[71]".

2.3:في ميدان الفلك والرياضيات:

---

[65]من أهل عين زربة، شامي يوناني حشائشي، كان بعد بقراط وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب، ألف كتاب الخمس مقالات وهو كتابه المشهور في الحشائش والنباتات. انظر، ابن جلجل، مصدر سابق، 21.

[66] ابن أبي اصيبعة، مصدر سابق، ص 495. اسماعيل باشا البغدادي، هدية **العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1951م، ص396.

[67]ابن أبي صبيعة، مصدر سابق، ص492.

[68]نفسه، ص492.

[69]كان نبيلا فيلسوفا حافظا جيد القريحة حسن الفطنة، وخدم بالطب المستنصر بالله، وقد خدم بالطب طول أيام جعفر، فلما مات جعفر الحاجب، اسقط من ديوان المتطببين، وبقي مخمولا أخريات أيامه، ومات بعلة الإسهال.انظر، ابن جلجل، مصدر سابق، ص110.

[70]هو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي حاجب الحكم المستنصر، غلبه المنصور بن أبي عامر على مكانته بعد موت الحكم واستأثر بالسلطان كله، ثم نكبه. انظر:المراكشي: مصدر سابق، ص26.

[71]ابن جلجل: مصدر سابق، ص110.

لقد كان لعلم الفلك والرياضيات حظ هام من العناية التي أولاها "الحكم المستنصر" بالحركة العلمية في الأندلس، وذلك لأهميتها الكبيرة التي لا تقل أهمية عن باقي العلوم بمختلف مجالاتها، ويتضح ذلك من خلال:

1.2.3:عنايته بعلم الفلك والرياضيات:

اهتم الأندلسيون بجمع الكتب القديمة في المشرق فأدخلوا كتاب "السند هند" وغيره من الكتب الأخرى، وكان "عبد الله بن الشمر[72]" من العلماء الذّين كان لهم اليد الطولى في الاهتمام بدراسة علوم الفلك والرياضيات في عصر الدولة الأموية بالأندلس[73]. وكان من نتائج سياسة التسامح ورعاية الثقافة التي بدأها "الحكم المستنصر" أن ظهرت المدارس واجتمع المشتغلون بكل علم من العلوم بعضهم إلى بعض، كما أباح لأهل الرياضة والفلك تعاطي فنونها وتدريسها لجمهور الناس[74]،فبرع الكثير من العلماء الذين أثروا ذلك الميدان بدراساتهم وأبحاثهم القيمة[75]. ما كان له الأثر في ازدهار تلك الدراسات الرياضية والترغيب في البحث في مواضيعها المختلفة، ويروى عنه –في هذا الصدد-أنه كان يعظم العلاّمة "عبد الله بن محمد" المعروف "بالسرى"، وكان السرى بارعا في الهندسة والحساب وألّف في ذلك كتابا مشهورا في البيع"، وقد حظي "السرى" بمنزلة رفيعة لدى "الحكم المستنصر" الذي كان حريصا على تقريبه إليه للاستفادة من علمه[76]، وأحمد بن نصر من العلماء بعلم العدد المشهورين وله كتاب في "المساحة المجهولة" لم يتقدم إلى مثله في معناه، وأبو القسم أحمد بن محمد بن أحمد العدوي المعروف بالطنبري وكان معلما بعلم العدد والهندسة نافذا فيها، وله كتب حسن في "المعاملات"[77]، كذلك ابن زيد أسقف القرطبي الذي كان مختصا "بالحكم" وألف له كتاب "تفصيل

[72]. انظر ترجمته في ، ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1964م، ص124-126.

[73]ابن سعيد، نفسه، ص133.

[74]آنجل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مايو 1955م، ص448.

[75]سعد البشري، مرجع سابق، ص358.

[76]القفطي، مصدر سابق، ص283.

[77]صاعد، مصدر سابق، ص68.

الأزمان ومصالح الأبدان"، وفيه ذكر من منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه[78]، وسعيد بن عريب الذي ألف كتابا في "الأنواء" وهو تقويم فلاحي مفيد[79].

كما ازدهر الفلك في عهد "الحكم المستنصر"، فقد أولاه رعاية وأحاطه بتشجيعه، واستجلب من العراق ومصر أهم الكتب الأساسية فيه قديما وحديثا، وقد أدى ذلك إلى نبوغ الكثير من الفلكيين الذّين تخصصوا في حركات النجوم واستخدام آلات المرصد، وأثبتوا بنبوغهم وعبقريتهم في ذلك المجال، بما قاموا به من تصحيح وتحسين للجداول الفلكية وتقويم نتائج من سبقهم[80].

2.2.3:إقامة مراكز علمية لتدريس العلوم الفلكية والرياضية:

بعد أن ازدهرت الدراسات الرياضية والفلكية أصبحت تدرس في الجوامع جنبا إلى جانب مع العلوم الدينية والأدبية واللغوية[81]، فكانت قرطبة والكثير من مدن الأندلس تعج بالرياضيين والفلكيين الذّين انصرفوا إلى تدريس تلك العلوم في جوامعها وبثها بين طلبة العلم، فقد كان "أحمد بن محمد الأنصاري" ضليعا في الرياضيات ماهرا في الفلك، وكان يجلس لتعليم ذلك في جامع قرطبة في عصر الخليفة "المستنصر[82]"، ولعل أشهر من جلس لتعليم ذلك في عهد "الحكم" العلامة "مسلمة بن أحمد المجريطي[83] ، الذي كان إمام الرياضيين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب وشغف بتفهم كتاب "المجسطي "، وعمل على تعديل "زيج البتاني" وعني "بزيج محمد بن موسى الخوارزمي"، ونقل تأريخه الفارسي إلى التأريخ العربي[84]، فقد أسس مدرسة علمية كبيرة في الفلك والرياضيات كان لها أكبر الأثر في نشاط تلك العلوم وتخريج أفواج كبيرة

---

[78] المقري، مصدر سابق،ج3،ص186.

[79] الحميدي، مصدر سابق، ص209.

[80] سعد البشري، مرجع سابق، ص358.

[81] نفسه، ص385.

[82] صاعد الأندلسي، مصدر السابق، ص91.

[83] نسبة إلى مجريط، وهي مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، ومجريط مدينة صغيرة وقلعة منيعة، وكان لها من الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة، وهي بمقربة من طليطلة.انظر:**الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1،لبنان،1975م، ص523.

[84] القفطي، مصدر سابق،ص329.

من الرّياضيين والفلكيين[85]، ما ساهم في تكوين أجيال من التلاميذ المتخصصين في الرياضيات والفلك والهندسة من مختلف المدن الأندلسية، كانوا القاعدة الأساسية لانتشار هذه العلوم في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي انتشارا مذهلا، واستمرارها في الأندلس والمغرب[86]، فلم يفارق "أبو القاسم" الدنيا إلا بعد أن خلف بعده جلة من أنجب التلاميذ الذين لم يخلف عالم بالأندلس مثلهم ومن أشهرهم: ابن السمح[87] وابن الصفار[88] والزهراوي[89] والكرماني[90] وابن خلدون[91] [92].

3.3:في ميدان الهندسة والحيل:

[85] سعد البشري، مرجع سابق، ص359.

[86]قريان عبد الخليل، العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزّياني(633-962هـ/1265-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2،عبد الحميد مهري،الجزائر،(1436-1437هـ/2015-2016م)، ج1، ص91.

[87]وهو القسم أصنع بن محمد بن السمح المهدي كان متحققا بعلم العدد والهندسة، متقدما في علم الهيئة وأفلاك وحركات النجوم، وله تواليف حسنة منها ثمار العدد. انظر، صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص69.

[88]أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر كان متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك، وله زيج مختصر على مذهب السند هند وكتاب فب العمل بالاسطرلاب.انظر، ابن أبي صبيعة، مصدر سابق، ص484.

[89]أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي كان عالما بالعدد والهندسة معتنيا بعلم الطب، وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان وهو المعروف بالأركان.انظر، ابن أبي صبيعة، مصدر نفسه، ص484.

[90]وهو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني من أهل قرطبة، أحد الراسخين في علم العدد والهندسة رحل إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفاء توفي سنة(458هـ/1066م). انظر، صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص70-71.

[91]أبو مسلم عمرو بن أحمد بن خلدون الحضرمي من أشراف أهل اشبيلية مشهورا بعلم العدد والهندسة والنجوم والطب،توفي في بلده سنة(449هـ/1058م). انظر، صاعد الأندلسي، مصدر نفسه، ص71.

[92]ابن أبي صبيعة، مصدر سابق، ص483.

لقد حظي علم الهندسة والحيل بمكانة عظيمة في حقل العلوم التجريبية ولدى "الخليفة المستنصر" على حد سواء وذلك لما له من أهمية بالغة في مختلف ميادين الحياة، وتشهد الكثير من المصادر التاريخية والآثار العمرانية على ذلك الاهتمام الكبير، ومن المواقف التي تدل على ذلك أنه أول ما قام به عندما تولى الخلافة أنه أمر بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، خاصة بعدما ضاق هذا المسجد بالناس وتدافعوا فيه فكان لابد من التعجيل في هذه الزيادة، وقد كلف بهذه المهمة كبار موظفي الدولة وذلك للإشراف على تلك الزيادة وتمامها، وفي هذا الصدد يذكر "ابن عذارى" قائلا: "وافتتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، وهو أول عهد نفذه، وقلّد حاجبه وسيف دولته عبد الرحمن الصقلي، وذلك لأربع خلون لرمضان من السنة، وهو اليوم الثاني من خلافته، فكان أول ما عهد إليه تقديم النظر في سوق الصخور التي هي أسس البنيان.[93]"، ومما لاشك فيه أنّ هذّه الزيادة تحتاج إلى مهندسين متمكنين وحاذقين تسند لهم هذّه المهمة، وفي هذّا الشأن كلّف المهندس "محمد بن تمليخ[94]" الذي " كان حظيّا عند "الحكم" فولاّه النظر في بنيان الزيادة في قبلي الزيادة في قبلي الجامع بقرطبة فبّوب ذلك وكملت تحت إشرافه وأمانته[95]"، وقد كافأه "المستنصر" على إنجاز هذّه المهمة وإتمامها بكتابة اسمه بالذهب على قنّة المحراب وذلك بعد الانتهاء من هذه الزيادة.

كما اهتم الخليفة "الحكم" كذلك بالجانب الجمالي الذي تضفيه الهندسة على هذه الزيادة "فزّينه بالفسيفساء المجتلبة من قبل ملك القسطنطينية مع الصنّاع المحكمين لذلك محاذيا بفعله ما فعله"الوليد بن عبد الملك" بمسجد دمشق[96]"، ونستخلص من هذا أنه كان يقلّد أجداده المروانيين بالمشرق حتى في الجانب العلمي عامة وحتى الهندسي .

---

[93] أبي العباس أحمد بن محمد ابن عذارى، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح، بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ج2، دار الغرب الإسلامي،ط1، تونس، (1434هـ/2013م)، ص217-218 .

[94] محمد بن تمليخ التميمي من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله، ولي خطة الرد والشرطة وكانت له منزلة من المستنصر بالله وكان عالما بالطب، توفي في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة. انظر، ابن الفرضي، مصدر سابق، ص452-453.

[95] صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص80 .

[96] ابن الخطيب، مصدر سابق، ص42.

ولم يكتف "الحكم" بجلب الفسيفساء من بلاد النصارى بل استقدم مجموعة من الصناع لتعليم مماليكه سر هذا الصنعة وإتقانها، وهذا ما يذكره "ابن عذارى" فيقول:" فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه من الفسيفساء ثلاث مئة وعشرون قنطارا بعث بها ملك الروم هدية، فأمر الحكم بإنزال الصانع والتوسيع عليه، ورتب معه جملة من مماليكه لتعلم الصناعة، فوصفوا أيديهم في الفسيفساء المجلوبة وصاروا يعملون معه فأبدعوا، وأرابوا عليه، واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم، إذ صدر راجعا بعد الاستغناء عنه، بعد أن أجزل له المستنصر الصلّة والكسوة[97]."

ولم تشتمل الزيادة التي قام بها "الحكم" على توسيع مساحة المسجد فقط، بل كان له اهتمام خاص بتجديد محرابه القديم ولذلك "أمر باقتلاع السواري الأربع التي كانت في عضادة المحراب القديم الفائقة التي لا نظير لها، وصيانتها إلى أن توضع في المحراب الجديد عند إتقان إحكامه وإكماله[98]." بالإضافة إلى ذلك أنه أمر بوضع المنبر القديم إلى جانب ذلك المحراب، وقد كان هذا المنبر تحفة هندسية جميلة:"فهو مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس وصندل ونبع وبقم وشوحط وما أشبه ذلك، وعدد درجه تسع درجات صنعة الحكم المستنصر[99]." كما أمر بنصب المقصورة القديمة إلى جانب ذلك المحراب، ويذكر أنه "خطر بها على خمسة بلاطات من الزيادات الحكمية، وأطلق حفافيها على الستة الباقية، ثلاثة من كل جهة[100]"، وتعتبر هذه المقصورة بأكملها تحفة هندسية هامة صنعها "المستنصر" وزاد بها من جمال هذه الزيادة التي أضفاها على المسجد الجامع بقرطبة، حتى أنه قيل في وصفها: "ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش[101]."

وأتم "الحكم المستنصر" هذه الزيادة بإنشاء ميضأة جديدة بعد أن هدم القديمة الموجودة في فناء المسجد، وكان ذلك في سنة 156هـ، حسب ما ذكر في المصادر التاريخية التي أشارت لذلك "وبنى موضعها أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي، منها اثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء[102]".

---

[97] ابن عذارى، مصدر سابق، ص223.

[98] مصدر نفسه، ص223.

[99] المقري، مصدر سابق، ج1، ص551.

[100] مصدر نفسه، ص551.

[101] المقري، مصدر سابق، ص551.

[102] نفسه، ص551

وقد قيل فيه:"الجامع المشهور أمره الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبر المساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتيمما إثر تيمم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف[103]. كما قيل:"ليس في بلاد الإسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة[104]."

ومن جهة أخرى كانت عناية المستنصر بتزويد مدينة قرطبة بمياه الشرب فأوعز إلى المهندسين في إنشاء قناة تربط المدينة مع منبع الماء بجبل قرطبة وهي من البناءات الهندسية التي تؤكد ضلوع المهندسين واهتمام المستنصر وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله "- أجرى ماءا عذبا جلبه من عين بجبل قرطبة، وخرق له الأرض وأجراه في قناة من حجرة متقنة البناء محكمة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس[105]."

وقد تداعى لهذه الزيادة كل صانع ماهر من مختلف أصقاع الأرض للمساهمة في هذه الزيادة بأوامر من الخليفة "الحكم المستنصر" حتى تكون في أبهى صورة وأروع نموذج هندسي يشهد لاسمه عبر التاريخ،[106]"، وقد أنفق فيها "المستنصر" أموالا طائلة وقيل:"بلغت النفقة فيه إلى مئتي ألف وأحد وستين ألفا وخمس مئة وسبعة وثلاثين دينارا ودرهم ونصف[107]."

ولم يقتصر اهتمام "الحكم" بالهندسة في الزيادة بالمسجد الجامع بقرطبة، وبناء قناة المياه بل حتى أنه اهتم كذلك ببناء المدن وبذل الأموال في سبيل تحقيق ذلك وهذا لأغراض مختلفة تقتضيها الظروف التي كانت تعيشها الأندلس في ظل خلافته حيث "أقام الخليفة الحكم المستنصر بالله مدينة حوالي طليطلة سنة 353هـ، إذ أنفذ أحمد بن نصر لبنيان مدينة بثغرها وتشييدها وتوثيق أمورها، وجعل بين يديه أحمال الأموال[108]."

الخاتمة:

---

[103] الحميري، مصدر سابق، ص352.

[104] المقري،مصدر سابق، ج1، ص545.

[105] ابن عذارى، مصدر سابق، ص225-226

[106] المقري،مصدر سابق، ص545.

[107] ابن عذارى، مصدر السابق، ص226-227.

[108] عبد الرحمن علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، ط2، بيروت،لبنان، ص306.

إن الحركة العلمية في عهد الخليفة "الحكم المستنصر بالله" قد شهدت نقلة حضارية هامة مسّت مختلف الجوانب والميادين، بما فيها ميدان العلوم التجريبية بمختلف تخصصاتها حيث أسهم في ازدهارها أسهاما بارزا ولا نبالغ إذا اعتبرناه بجهوده العلمية رائدا لتلك الحركة، فقد ساعدت النشأة العلمية التي حظي بها من قبل والده "عبد الرحمن الناصر" في نشوئه على حب العلم والإطلاع الدائم عليه، وكذّا مصاحبة العلماء والاحتكاك بهم ومجالستهم، كما عملت على صقل شخصيته ونضجها خاصة وقد عرف عنه حبه الكبير للكتب والمطالعة والاهتمام بالمكتبات، معتمدا في ذلك على جملة من الوسائل والأساليب، باذلا جهدا كبيرا تشهد له كل الكتب التاريخية التي ترجمت له، كما أنشأ مكتبة عظيمة بين جدران قصر "قرطبة" حاضرة العلوم وقبلة العلماء خلال فترة حكمه، والتي جمع بها أمهات الكتب، من داخل وخارج الأندلس وفي مختلف العلوم.

كما لم يقتصر دور الخليفة في تشجيعه للعلوم بالأندلس على جمع الكتب وإنشاء المكتبات، بل أقدم أيضا على تحفيز العلماء على تأليف وإخراج أمهات الكتب الجامعة لكنوز العلم والمعرفة حتى تتناقلها الأجيال القادمة كإرث حضاري قيّم يحتذى به ما ساعد على غزارة وكثافة الإنتاج العلمي في عصره، وفي شتى العلوم بما فيها العلوم التجريبية، حيث ساعدت البيئة العلمية التي وفرّها في بروز التنافس بين العلماء من فلكيين وأطباء ورياضيين وغيرهم، فبلغت العلوم التجريبية مكانة هامة في عهده وتخرجت من صفوفها أجيال من المبدعين الذّين ساهموا في إثراء حقل هذه العلوم خاصة بعدما سمح بتدريسها في جوامع قرطبة جنبا إلى جنب والعلوم الدينية والفقهية واللّغوية، لتصبح الأندلس عامة وقرطبة خاصة مركزا للإشعاع العلمي يضاهي المشرق. كما نال علم الهندسة عناية "الحكم المستنصر" وخصص له مكانة كبيرة ويتجلى ذلك من خلال تلك الزيادة التي أضفاها على المسجد الجامع بقرطبة بمرافقه المختلفة، ليصبح بذلك نموذجا هندسيا متناسقا لم يسبق له مثيل، والتي أبدعت فيها أنامل المهندسين أيما إبداع لتتجسد في صورة هندسية فائقة الجمال، ولم يقتصر اهتمامه على المسجد فحسب بل شمل مختلف احتياجات المدينة من أسوار وشبكة المياه، مما ساهم في تنشيط علوم الهندسة وإقبال فئة كبيرة على هذا العلم والعناية به والإبداع فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

1.قائمة المصادر:

- ابن الأبّار أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي،**الحلة السيراء**، تح، حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1963م.

-ابن أبي صبيعة،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،تح، نزار رضا، دار مكتبة الحياة،د،ط، د،ت،بيروت، لبنان.

-البغدادي إسماعيل باشا، هدية **العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1951م.

-ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حيان الأندلسي، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح، فؤاد رشيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1405هـ،1985م.

-الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسن،**طبقات النحويين واللغويين**، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة.

-ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:**جمهرة أنساب العرب**،تح:عبد السلام محمد هارون،ج1، دار المعارف،ط5،القاهرة،1982م.

-الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، دار الجبل، ط2، بيروت لبنان،1408هـ، 1988 م.

-.....**الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1،لبنان،1975م.

-المراكشي ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس، تح، محمد بن شريفة وإحسان عباس، القسم الأول، دار الثقافة، د.ط، بيروت ، لبنان، أفريل 1965م.

-المراكشي عبد الواحد،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، مطبعة الاستقامة، ط1،القاهرة، 1386هـ/1949م.

-المقري ، أحمد بن محمد بن أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسّان الدين الخطيب**،تح، إحسان عباس،ج1، دار صادر، د.ط، بيروت،1986 م.

-ابن سعيد عريب، **خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين**، تر، نورالدين عبد القادر وهنري جاهيه، مكتبة فراريس، الجزائر، 1956م-1375ه.
-ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1964م.
-ابن عذارى أبي العباس أحمد بن محمد، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح، بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ج2، دار الغرب الإسلامي،ط1، تونس، (1434ه/2013م).
-ابن صاعد الأندلسي أبي القاسم صاعد بن أحمد، **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، د،ط، بيروت، لبنان، 1912م.
-ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ،**تاريخ علماء الأندلس**،ج1،الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، مصر، 1966م.
-الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**،تح، محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشلبين، ج2، فرانز شتنايتز، ط2،قيسبادن.
-القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح، سعيد أحمد أعراب، ج6، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، المغرب،140 1ه، 1981م.
-القفطي جمال الدين، **تاريخ الحكماء**، تح، خوليو ليبرت، د. دار نشر، 1908م.
-ابن خطيب لسان الدين،**أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**،تح، ليفي بروفنسال، دار المكشوف،ط2، بيروت، لبنان، 1956م.
-ابن خلدون عبد الرحمن،**تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج4، دار الفكر، د،ط،بيروت، لبنان، 1421ه،2000م.
-الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ،**سير أعلام النبلاء**، ج8، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت،1417ه/1996م.
-الظّبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح، إبراهيم الأبياري،ج1، دار الكتاب المصري، ط1، مصر، 1410ه/1989م.

2.قائمة المراجع:

-بالنثيا آنجل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مايو 1955م.
-بروفنسال ليفي، دار المكشوف،ط2، بيروت، لبنان، 1956م.
-حامد شافعي دياب، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998م.
-حجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897ه/711-1492م)، دار القلم، ط2، بيروت،لبنان.

3.قائمة المقالات الجامعية:

-بن حاج ميلود، الكتاب ودوره في حركة التعليم بالأندلس بين عصري الإمارة وملوك الطوائف (138-479هـ/756-1086م)، **مجلة أنسنة الدراسات البحوث والدراسات**، العدد22،11ديسمبر2014م.

-شنطاوي محمد تركي محمد، "مكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر في الأندلس(350-366هـ/961-976م) وما بعدها"، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**،الأردن،مجلد10، العددان (1+2)، 2016م.

4.الرسائل الجامعية:

-البشري سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس(316-422هـ/928-1030م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى(المملكة العربية السعودية)، 1417هـ/1997م.

-قريان عبد الخليل، العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزّياني(633-962هـ/1265-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2،عبد الحميد مهري،الجزائر.